قصورنا في جميع الامور التي نحن في اشد الاحتياج اليها في هذه الايام . فاذا اردنا ذوداً او دفاعاً عمّا نُرمى بهِ اليوم من القصور عن مجاراة اهل العالم المتمدن في اللغة والنساء وكرم الاغنياء وبسالة الرجال وعدل الحكام وغير ذلك من معدات الحضارة ومناقب الامم المرتقية أخذنا نطبل ونزمر بمشاهير فصحاء العرب وبلغائهم ونوابغ نسائهم وسخاء حاتمهم وشجاعة عنترهم وحلم احنفهم وعدل خلفائهم ولم نستطع لسوء الحظ ان نستشهد باثرٍ حيٍّ يحسن ذكرهُ ويطيب نشرهُ

وعندي أنَّ المرأة الشرقية كاللغة العربية في حاجةٍ شديدةٍ الى الترقية والاصلاح . وتبعة قصور كلٍّ منهما علينا نحن الرجال . وقبلما نحاول رفع الحجاب عن وجه المرأة الشرقية علينا انَ نرفعهُ عن هذه الحقيقة المهمة ونعترف باننا نحن مقصرون في ترقية فتاة الشرق ونكف عن لومها وتحقيرها من جهة وعن تملقها ومداهنتها من جهة أخرى ونصرح لها على رؤوس الاشهاد اننا نفضل علمها وتهذيبها وادبها وكمالها على زينتها وحلاها ومالها وجمالها . فان فعلنا هذا فتحنا باب الارتقاء والاَّ فاسم المشرق صائرة الى الفناء

اسعد داغر

السعي والارتزاق

قرأت في كتاب نزهة الناظرين للشيخ تقي الدين عبد الملك البابي خطيب الجامع الاموي الشهير بالشيخ عُبَيْد الضرير فصلاً جمع من الآيات الكتابية والاحاديث النبوية واقوال السلف الصالح ما يجب ان يستظهرهُ كل احد ويعمل بهِ وهاكم بعض هذه الآيات والاحاديث والاقوال

اذا قضيت الصلاة فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله . آية

لان يحتطب احدكم حزمة على ظهرهِ خيرٌ لهُ من ان يسأل احداً فيعطيهُ او يمنعهُ . حديث رواهُ البخاري ومسلم

ما اكل احد طعاماً قط خيراً من عمل يدهِ . حديث رواهُ البخاري

التاجر الصدوق مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين . حديث

مَن طلب الدنيا حلالاً تعففاً عن المسئلة وسعياً على عيالهِ وتعطفاً على جارهِ لقي الله ووجههُ كالقمر ليلة البدر . حديث روي مرفوعاً وموقوفاً على الصحابة

طلبُ الحلال جهادٌ وان الله يحب العبد المحترف . حديث

من امسى كالاً من عمل يدهِ امسى مغفوراً لهُ . حديث

كان اصحاب رسول الله يتجرون في البر والبحر ويعملون في نخلهم والقدوة بهم . قالهُ ابن عباس

لو توكلتم على الله حقّ توكلهِ لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصاً وتروح بطاناً . حديث معناهُ تذهب اول النهار خماصاً ضامرة البطون من الجوع وترجع آخرهُ ممتائة . قال الامام احمد ليس في هذا الحديث دلالة على القعود عن الكسب بل فيهِ ما يدلُّ على طلب الرزق وانما اراد والله اعلم لو توكلوا على الله في ذهابهم ومجيئهم وتصرُّفهم وعلموا ان الخير بيدهِ ومن عندهِ لم ينصرفوا الاَّ سالمين غانمين كالطير تغدو خماصاً وتروح بطاناً . وفي الشعب للبيهقي ان عُمَر رضي الله عنهُ لقي ناساً من اهل اليمن فقال ما انتم قالوا متوكلون فقال كذبتم انتم متآكلون انما المتوكل رجل القى حبهُ في التراب وتوكل على رب الارباب . وقال ابو سليمان الداراني من ائمة الصوفية ليس العبادة عندنا ان تصفَّ قدميك وغيرك يتعب لك ولكن ابدأ برغيفيك فاحرزهما ثم تعبَّد . ورُوي ان الاوزاعي لقي ابرهيم بن ادهم وعلى عنقهِ حزمة حطب فقال لهُ الى متى هذا يا ابا اسحق اخوانك يكفونك فقال دعني عن هذا يا ابا عمرو فانهُ بلغني انهُ مَن وقف موقف مذلة في طلب الحلال وجبت لهُ الجنَّة

لو بسط الله الرزق لعبادهِ لبغَوْا في الارض . آية . قال شقيق بن ابرهيم في تفسيرها لو ان الله تعالى رزق العباد من غير كسب لتفرغوا ففاسدوا ولكن شغلهم بالكسب حتى لا يتفرغوا للفساد

ما من مسلم يغرس غرساً او يزرع زرعاً فيأكل منهُ انسان او طير او بهيم الاَّ كانت لهُ صَدَقة . حديث

خير تجارتكم البز وخير صنائعكم الخرز (الخياطة) . حديث

لو إتجر اهل الجنَّة لاتجروا في البز ولو اتجر اهل النار لاتجروا في الصَّرف . حديث

وآخرون يضربون في الارض يبتغون من فضل الله . اية يعني المسافرين للتجارة

قيل لعبد الرحمن بن عوف الصحابي ما سبب يسارك قال ثلاث ما رددتُ ربحاً قط ولا طُلِب مني حيوان فأخَّرت بيعهُ ولا بعت بنسيئة (ديناً)

وكان عليٌّ رضي الله عنهُ يدور في سوق الكوفة ويقول معاشر التجَّار خذوا الحق واعطوا الحق تسلموا لا تردُّوا قليل الربح فتحرموا كثيرهُ . انتهى

وقرأتُ في الجامع الصغير للسيوطي

اطيب الكسب عمل الرجل بيدهِ وكل بيع مبرور . رواهُ الامام احمد والطبراني والحاكم

ان الله يحب العبد المحترف . رواهُ الطبراني

البلاد بلاد الله والعباد عباد الله فحيثما اصبتَ خيرًا فاقم . رواهُ الامام احمد

خير الكسب كسبُ يد العامل اذا نصح . رواهُ الامام احمد والنصح اتقان العمل

اطلبوا الرزق من خبايا الارض . رواهُ بن عدي والطبراني والبيهقي

اذا صليتم الفجر فلا تناموا عن طلب ارزاقكم . رواهُ الطبراني

خير لهو المؤمن السباحة وخير لهو المرأة الغزل . رواهُ ابن عدي

عمل الابرار من الرجال الخياطة وعمل الابرار من النساء المغزل

ولقد احسن الوزير خير الدين باشا التونسي في ما ذكرهُ في مقدمة كتابهِ اقوم المسالك في احوال الممالك حيث قال

" ان الباعث الاصلي في تاليف الكتاب امران احدهما اغراء ذوي الغيرة والحزم من رجال السياسة والعلم بالتماس ما يمكنهم من الوسائل الموصلة الى حسن حال الامة الاسلامية وتنمية اسباب تمدنها بمثل توسيع دوائر العلوم والعرفان وتمهيد طرق الثروة من الزراعة والتجارة وترويج سائر الصناعات ونفي اسباب البطالة واساس جميع ذلك حسن الامارة المتولد منهُ الامن المتولد منهُ الامل المتولد منهُ اتقان العمل المشاهد من الممالك الاورباوية بالعيان وليس بعدهُ بيان

ثانيهما تحذير ذوي الغفلات من عوام المسلمين عن تماديهم في الاعراض عمَّا يحمد من سيرة الغير الموافقة لشرعنا بمجرد ما انتقش في عقولهم من ان جميع ما عليهِ غير المسلم من السير والتراتيب ينبغي ان يهجر وتآليفهم في ذلك يجب ان تنبذ ولا تذكر حتى انهم يشددون الانكار على من يستحسن شيئًا منها . وهذا على اطلاقهِ خطأٌ محض فان الامر اذا كان صادرًا من غيرنا وكان صوابًا موافقًا للادلة لا سيما اذا كنا عليهِ وأُخذ من ايدينا فلا وجه لانكارهِ واهمالهِ بل الواجب الحرص على استرجاعهِ واستعمالهِ . وكل متمسك بديانة وان كان يرى غيرهُ ضالاً في ديانتهِ فذلك لا يمنعهُ من الاقتداء بهِ فيما يستحسن في نفسهِ من اعمالهِ المتعلقة بالمصالح الدينوية كما تفعلهُ الامة الافرنجية فانهم ما زالوا يقتدون بغيرهم في كل ما يرونهُ حسنًا من اعمالهِ حتى بلغوا الى ما هو مشاهد . وشأن الناقد البصير تمييز الحق بمسبار النظر فليس بالرجال يعرف الحق بل بالحق تعرف الرجال والحكمة ضالة المؤمن

لما اشار سلمان الفارسي رضي الله عنهُ على رسول الله صلى الله عليهِ وسلم بان عادة الفرس ان يطوقوا مدنهم بخندق حين يحاصرهم العدو اتقاء من هجومهِ عليهم اخذ رسول الله صلى الله

عليهِ وسلم برأيهِ وحفر خندقاً للمدينة في غزوة الاحزاب عمل فيهِ بنفسهِ ترغيباً للمسلمين . وقال سيدنا علي كرم الله وجههُ لا تنظر الى من قال وانظر الى ما قال .

"واذا ساغ للسلف الصالح اخذ مثل المنطق من غير اهل ملتهم وترجمتهُ من لغة اليونان لما رأَوهُ من الآلات النافعة حتى قال الغزالي من لا معرفة لهُ بالمنطق لا يوثق بعلمهِ فاي مانع لنا من اخذ بعض المعارف التي نرى انفسنا محتاجين اليها غاية الاحتياج في دفع المكايد وجلب الفوائد . وفي سنن المهتدين للشيخ المواق المالكي ما نصهُ ان ما نهينا عنهُ من اعمال غيرنا هو ما كان على خلاف مقتضى شرعنا اما ما فعلوهُ على وفق الندب او الايجاب او الاباحة فانا لا نتركهُ لاجل تعاطيهم اياهُ لان الشرع لم ينهَ عن التشبه بمن يفعل ما اذن الله فيهِ . وفي حاشية العلامة بن عابدين الحنفي ما نصهُ صورة المشابهة فيما تعلق بهِ صلاح العباد لا تضر . على انا اذا تأمَّلنا في حالة هؤلاء المتكرين لما يستحسن من اعمال الافرنج نجدهم يمتنعون من مجاراتهم في ما ينفع من التنظيمات ونتائجها ولا يمتنعون منها في ما يضرهم" . الى ان قال

"ومما يحسن سوقهُ هنا قول بعض المؤلفين من الاوربايين ان الممالك التي لا تنسج على منوال مجاوريها في ما يستحدثونهُ من الآلات الحربية والتراتيب العسكرية توشك ان تكون غنيمة لهم ومما يؤيد ما قرأناهُ قولهُ صلى الله عليهِ وسلم لعاصم بن ثابت من حديث من قاتل فليقاتِل كما يقاتَل. ويوضح معناهُ ما تضمنتهُ وصية الصديق لخالد بن الوليد رضي الله تعالى عنهما حين بعثهُ لقتال المرتدين فقال يا خالد عليك بتقوى الله والرفق بمن معك الى ان قال والخوف عند اهل اليمامة فاذا دخلت بلادهم فالحذر الحذر ثم اذا لا قيت القوم فقاتلهم بالسلاح الذي يقاتلونك بهِ السهم للسهم والرمح للرمح والسيف للسيف. قلت ولو ادرك هذا الزمان لابدل ذلك بمدفع الشمخان ومكحلة الابرة والسفينة المدرعة ونحوها من المخترعات التي لتوقف عليها المقاومة

وبناء على ذلك يقال هنا هل يمكننا اليوم الحصول على الاستعداد المشار اليهِ بدون تقدم في المعارف واسباب العمران المشاهد عند غيرنا وهل يتيسر ذلك التقدم بدون اجراء تنظيمات سياسية تناسب التنظيمات التي نشاهدها عند غيرنا في التاسس على دعامة العدل والحرية اللذين هما اصلان في جميع الممالك" الى ان قال "وفي الحديث العدل عرُّ الدين وبهِ سلاح السلطان وافاد ما معناهُ لا يمكن الاصلاح الاَّ بالعدل وتقدم المعارف".

فعسى ان يرى قرَّاء المقتطف الكرام في هذه الآيات القرآنية والاحاديث النبوية والاقوال المأثورة ما يعلي في عيونهم منزلة العمل والكسب والاقتداء بالاوربيين في ما يُعَدُّ من اسباب تقدمهم علينا وسبقهم لنا والله الهادي الى الصواب

احد المشتركين